محاضرة حول:

سوسيولوجيا الرابط الاجتماعي عند ماركس

تمهيد:

يرى ماركس بأن العمل المنظم اجتماعا هو الأسلوب الخاص الذي يعتمده الأفراد لإعادة الإنتاج وجودهم، وتحت مسمى" الإنتاج "يجب ألا يفهم منه تلك الأنشـــطة الأدائية للأف ا رد المنعزلين عن غيرهم، ولكن التعاون الاجتماعي للكثير من الأف ا رد المختلفين عن بعضـــهم، ليكون الرابط الاجتماعي في هذه الحالة بالأســـاس رابطا اقتصـــاديا -اجتماعيا يربط فيـه مـاركس بين العمـل المنظم، أو بين عمليـة الإنتـاج والرابط الاجتماعي.

وعليه وجب التمييز هنا بين فهمين مختلفين للعمل حسب ماركس:

العمل بوصفه نشاط:

وهو نشاط يتناسب مع النشاط البيولوجي لجسم الإنسان، حيث النمو التلقائي للجسم.

العمل بوصفه تحقيق للذات:

وهو النشاط الذي يدخل من خلاله الإنسان في علاقة مع الخارج أو مع الطبيعة التي يتصارع معها لأجل خلق ما هو إنساني، مثلما مع الآخرين الذين معهم ومن أجلهم يقوم بهذه المهمة، لنك ون هنا وبتعبير" هيجل " أمام العمل المحرّر والعَامل المحرر. (سيساوي، 20020)

التفكير الحديث من الماركسية إلى الليبرالية الاقتصادية.

إن الحديث عن الرابط الاجتماعي بواسطة العمل عند " ماركس "لا يعني اختزال التفاعلات الاجتماعية في مجرد روابط لإنتاج السلع، أو الخدمات، وتبادلها داخل الحقل الاقتصادي، فجماعة من الناس تنسج أيضا علاقات رمزية، دينية، أخلاقية، بل وحتى جمالية وهي بذلك تشكل فيما بينها نسيجا أو شبكة العالم المعاش، الخاص بأعضائها، ولكن دون أن نغفل بطبيعة الحال في هذا المقام الرابط السياسي أيضا الذي يجعل من الأفراد مواطنين تابعين أو رعية ضمن جهاز منظم للسلطة.

لقد جعل التطور التاريخي الحاصل من العمل سلعة تباع وتشترى على حد قول ماركس .بل وأصبح بيع قوة العمل قاعدة العلاقة الطبيعية في المجتمعات الرأسمالية، أين يأخذ العمل شكل السلعة وحيث لقوة العمل طابعا مزدوجا .فهي من جهة يتم صرفها في أنشطة ملموسة ضمن سياقات للتعاون وباعتبارها خدمة مجردة لصيرورة عمل منظم تحديدا ويهدف للحصول على فائدة، أو منفعة من جهة أخرى .إلا أن قوة العمل هاته ترتبط بفرد تابع، لا يمكن فصلها عن صاحبها أو مالك قوة العمل هاته.

لذلك من الوهم التفكير في أن قوة العمل يمكن أن تكون سلعة عادية تباع وتشترى مثل بقية السلع في السوق، ثم إن علاقة العمل في المجتمع الطبقي بما في ذلك المجتمع الرأسمالي، تتحول إلى علاقة هيمنة من ناحية، وعلاقة تبعية من ناحية أخرى. (سيساوي، 20020)

وبعبارة أخرى إذا كانت الوضعية ترى في أن النظام الاجتماعي القائم يتأكد بكامله إن هو امتلك اتفاقاً قيمياً واضحاً، يضم أجزاءه في كل متماسك حيث تلعب الروابط الاجتماعية على تعددها وتنوعها دورا محورياً في تحقيق والحفاظ على الانسجام والتماسك الاجتماعي، ومن ثم ترسيخ نطاق الضبط الاجتماعي من خلال الضبط والسيطرة، فإن ماركس يرى بأن التناقض والص ا رع هما الطريق الفعلي إلى تحقيق الانسجام والتكامل النسق .فالنسق هنا ليس سوى نضال سياسي متناقض بين الجماعات الاجتماعية ذات الأهداف والنظرة المتناقضة للعالم. (سيساوي، 20020)